بعلة وآيلة هما ظواهر مختلفة من الحب السماوي ، الذي يحاول البطـــل احيانا ان يشوهه وان يحققه وفق طريقته وفي علاقته به يمر بمشاعر عميقة من الخطأ والندم ، والخلاص والصفح . وعيدة ، وصفا وأبيجيل هن ظواهر مختلفـــة « لبنات الارض » والبطل بواسطتهن يقيم علاقة مقدسة نحو الخطأ والارض . ان النساء لسن موجودات في حد ذاتهن وهن تفسير ومثال لحياة البطل القاص ، وهن كومـــات نيران في جهنمه الشخصي او مراحل في السلم الواصل الى الارض او الى السماء . والقاص البطل هو شاعر ، وشعره وحياته هما من قطعة واحدة : الشعر نابع من الحياة والحياة هي بمثابة شعر وكل فصل من فصول حياته هو مصدر آخر يستقي منه شعره . وكما ان حياته متشابكة مع شعره ، فان الحلم والواقع فيها يستخدمان في تداخـــل . وهذا التداخل الغريب للتجربة الانسانية ، والاحلام ، والتأويل النبوئي والغامض ، والشعر والمواعظ الدينية يكشف « الأنا » وعالمها وهو تداخل ذو تعبيرية هائلة القوة .

وقد كان تقدير « الأنا » في انتاج ساديه ، وهو الانتاج الرومانسي روحا والتجريبي من حيث التعبير ، بمثابة تجديد مطلق في أدب الجيل الفتي في اسرائيل .

« قيصر » ودافيد شحر

وقد اتجه دافيد شحر ، الذي يعتبر منتميا الى « جيل البلاد » من حيث العمر ، ويعتبر رجل فترة الانتقال من حيث طابع انتاجه الادبي ، الى منحى آخر . ففي « شهر العسل والذهب » حاد عن الطريق الذي بدأ به في « عن الاحلام » وانتقل الى النقد الاجتماعي انساخر . وفي « قيصر » (١٩٦٠) عاد الى الكتابة التجريبية البيئية المميزة له . وانتاج شحر يتحرك بين الشوق الى الذكريات وبين عرض « لا بطل » جديد ، يبحث له عن « اله » صغير خاص به . اما ساديه فقد كان يبحث عن « اله كبير » في الحقول الاجنبية وفي ثنايا النفس . وقد عرض شحر شخصيات صغيرة ، لا تصبو الا الى اطار صغير من الحياة ، يكون كله ملكا لها . وهؤلاء الابطال هم على هامش المجتمع وليسوا في مركزه ، أبناء الاحياء الاورشليمية (وفي غالب الاحيان آباء وليسوا أبناء) وليسوا من أبناء حركة الشباب الذين يعيشون في الدائرة التي خلقتها الظروف لهم (الكيبوتس ، والجيش .. الخ) . والمكانة الضئيلة « للبطل » الادبي عند شحر تتضح بصفة خاصة في شخصية « يائير » بطل قصة « قيصر » (التي على اسمها سميت المجموعة القصصية الصادرة عام ١٩٦٠ والتي تحتل القصة نحو ثلثها) . انها شخصية برينرية (نسبـــة الى حييم برينر) لانسان منكود الحظ ، يعيش على هامش المجتمع ويفشل في كل شيء ، ولكن فشله يخفي بين طياته نجاحه . وانجازاته المتواضعة في حرب الجميع ضد الجميع ، في مقابل النجاحات الهائلة التي يحققها أخواه اليعازر وعاموس، هي التي تمنحه انفراديته، و« كلب الشوارع » ليس الا « القيصر » الحقيقي ، الذي لو شاء لحصل على « شنهاب » فتاة أحلامه . ولكنه يمنع نفسه من الخير طواعية ، ويفضل الاخلاص لاخيه رفيقه ـــ عن « النجاح » الوهمي . وقوة المنكود الحظ تكمن بالذات في التخلي عـــن أي ملكية او قضية . وبفضل هذا التخلي فقط يتحـــرر من تلك المعايير التـــي تحدد ان النجـــاح « الاجتماعي » هو الغاية التي يصبو اليها الانسان . وقد تجلت وجهة النظر هذه كذلك في قصة « موت الاله الصغير » (التي طبعت في مجموعة حملت هذا العنوان عام ١٩٧٠ ـــ دار نشر شوكن) . لقد تحول بطل القصة « الاله الصغير » من عالم ناجح الى باحث عن الرب ، أبعد عنه كل معارفه وأصدقائه الى أن مات موتا مفاجئا وغامضا .

والشخصية الثانية التي تظهر في هذه المجموعة (وفي سائر مجموعات شحر) هي شخصية ابن اليشوف القديم ، الذي يختنق في بيئته ويحاول أن يقتحم اطاراتها ويبيح المحظورات . وفي قصص مثل « عن الخطايا الصغيرة » و« بينيك يطلب يد الفتـــاة